

"الدولة والسيادة والفضاء الاجتماعي في  
المنطقة العربية: قراءاتٌ تاريخيةٌ وفقراراتٌ  
نظريةٌ جديدة"

.....  
"State, Sovereignty and Social Space in  
the Arab Region: Emerging Historical  
and Theoretical Approaches"

.....  
"État, souveraineté et espace social  
dans la région arabe : nouvelles lectures  
historiques et approches théoriques"

# المؤتمر الثالث Third Conference

بيروت، 10-12 آذار/مارس 2017  
Beirut, March 10-12, 2017



## العنف ضد النساء في العالم العربي والسردية النسوية المناهضة للاستعمار: مراجعة

– هدى الصدة –

أستاذة في الأدب المقارن في جامعة القاهرة، وناشطة في مجال حقوق المرأة

مداخلة خلال الطاولة المستديرة بعنوان:

"السرديات النسوية في الواقع العربي بين الاستشراق الحديث والاستغراب المستحدث"

المؤتمر الثالث للمجلس العربي للعلوم الاجتماعية

بيروت، 11 آذار/مارس 2017

كثير الجدل حول المنهج الحقوقي وفاعليته في السعي نحو تحقيق العدالة النوعية (gender justice). فكما بيّن باحثون وباحثات في مجالات مختلفة، أخص هنا بالتحديد، الباحثين والباحثات المتبئين لخطاب مناهض للاستعمار والإمبريالية الغربية، فلقد تم استخدام، أو بالأحرى إساءة استخدام، المنهج الحقوقي في تبرير أجندة استعمارية لبلدان غربية تسمح لها بالتدخل في شؤون بلدان العالم الثالث. فعلى سبيل المثال، وفي [حديث شهير للورا بوش](#)، زوجة الرئيس الأمريكي جورج بوش، تم إضفاء "شرعية أخلاقية" على غزو الولايات المتحدة لأفغانستان بحجة إنقاذ النساء الأفغانيات وحماية حقوقهن من القمع الواقع عليهن من قبل مجتمعات ذكورية عنيفة. يتحول هنا "الخطاب الحقوقي" إلى سلاح يستخدم لتبرير الغزو والتدخل.

ومع اعتبار وجهة وأهمية هذا الخطاب النقدي للمنهج الحقوقي، إلا أنني في هذه المداخلة سوف أشتبك مع الافتراضات النظرية لهذا النقد، خاصة حين يعمّم الخطاب ويتحول إلى المنظور السائد في

"الدولة والسيادة والفضاء الاجتماعي في  
المنطقة العربية: قراءات تاريخية وفقرارات  
نظرية جديدة"

"State, Sovereignty and Social Space in  
the Arab Region: Emerging Historical  
and Theoretical Approaches"

"État, souveraineté et espace social  
dans la région arabe : nouvelles lectures  
historiques et approches théoriques"

# المؤتمر الثالث Third Conference

بيروت، 10-12 آذار/مارس 2017  
Beirut, March 10-12, 2017



المجلس العربي  
للعلوم الاجتماعية  
Arab Council  
for the Social Sciences  
Conseil Arabe  
pour les Sciences Sociales

التعامل مع المنهج الحقوقي في مقاربتة لحقوق النساء، وخاصة أيضًا حين يصبح معيارًا للحكم على المدافعين والمدافعات عن حقوق النساء ووصمهم بالتبعية لأجندات غربية، أو اعتبارهم في أفضل الظروف منفذين غير واعين لمخططات تحاك لبلدانهم.

أختار على سبيل المثال لا الحصر النقد الموجه للمدافعات عن حقوق النساء اللواتي يركزن جهودهن على تسليط الضوء على العنف ضد النساء في المجال العام والخاص، بناء على الافتراضات التالية: أن أجندة مناهضة العنف ضد النساء هي أجندة غربية في الصميم؛ وأن الدعوة إلى مناهضة العنف ضد النساء في المجتمعات الإسلامية ترسخ مفاهيم كولونيالية عن المجتمعات الإسلامية باعتبارها مجتمعات تنتم بالعنف وعدم احترام حقوق النساء وتروج لسردية ثقافية تفسر الظواهر والأحداث وتتجاهل الصراعات السياسية والاجتماعية الموجودة في المجتمعات؛ وأن هذه الأجندة تتبناها منظمات دولية كبيرة حولتها إلى صناعة وفرص عمل وترقي، بغض النظر عن حقوق النساء؛ وأن كل المجموعات التي تدافع عن حقوق النساء في العالم العربي التي تتلقى تمويلًا من المؤسسات الدولية تقوم بتنفيذ الأجندة الدولية دون مراعاة للواقع على الأرض وتقوم بقصد أو بدون قصد في المساهمة في تقديم صورة مغلوطة عن واقع النساء، لا بل المساهمة في تعزيز الخطاب الاستعماري الذي يوظف "قضية العنف ضد النساء" مبررًا للتدخل وفرض السيطرة.

أطرح رؤية مضادة وأزعم أنه من أهم مكاسب الحراك الثوري في مصر في عام 2011 هو تسليط الضوء على قضية العنف ضد النساء في المجال العام وكسر تابو العنف الجنسي، وذلك بفضل مجموعات المدافعات عن حقوق النساء اللواتي انتهنن فرصة فتح المجال السياسي أثناء الحراك الثوري ونجحن في جعل القضية قضية رأي عام تناقش في وسائل الإعلام.

# المؤتمر الثالث Third Conference

بيروت، 10-12 آذار/مارس 2017  
Beirut, March 10-12, 2017



بدايات الحملات المناهضة للعنف ضد النساء في المجال العام والخاص كانت في التسعينات حيث تبنتها مجموعة من المنظمات النسوية مثل النديم والمرأة الجديدة ومؤسسة قضايا المرأة المصرية. ولكن لم تحظ قضية العنف ضد النساء بالاهتمام على المستوى الرسمي والشعبي، لا بل كانت تابو أو موضوع محرّم سياسياً واجتماعياً. لماذا؟ كان تناول موضوع العنف ضد النساء يشوبه الكثير من اللغط يستمد قوته من أفكار مسبقة تحمّل الفتاة المعتدى عليها دائماً مسؤولية حدث التحرش أو الاعتداء، وعضاً عن مواجهة الجريمة ومعاقبة مرتكبها، يتمّ تحويل الموضوع إلى شيء آخر، يلوم الضحية لأنها لم تكن ترتدي ملابساً ملائمة أو لأنها تواجدت في المكان الغلط أو الموعد الغلط. وبالطبع، كان موضوع العنف الأسري أكثر تعقيداً، حيث تتحول أي محاولة لمناقشته إلى مناقشة دينية سلطوية، وتستخدم حجج دينية منحازة ومغلوبة لتبرير العنف ضد النساء بدعوى ضرورة خضوعهن لسلطة الذكور في العائلة.

في عام 2011، برز دور النساء في المجال العام وانتشرت صور مشاركتهن في أحداث الثورة، وكان لهن نصيب من الاعتداءات ومظاهر العنف الموجّه ضد المتظاهرين. وبالتدرّج، أصبح موضوع العنف ضدهن موضوعاً إعلامياً يناقش في المحطات الفضائية والصحف بشكل مفتوح غير مسبوق. في النصف الثاني من عام 2012 وبدايات عام 2013، حدثت طفرة في الإبلاغ عن أحداث التحرش والإعتداءات ضد النساء في الميادين، وظهرت عدة مبادرات وحركات لمواجهة تلك الظاهرة. أنشئت "بصمة" في يونيو 2012، و"شفت تحرش" في أكتوبر 2012، و"قوة ضد التحرش" و"تحرير بودي جارد" في نوفمبر 2012. وتعاونت المبادرات الجديدة مع منظمات نسوية عاملة في نفس المجال، مثل "نظرة"، والمبادرة المصرية للحقوق الشخصية. ونجحت هذه المبادرات في تسليط الضوء على المشكلة وعلى ضرورة التصدي لها واتخاذ إجراءات حاسمة لردع المعتدين. بالإضافة إلى العمل على المستوى الإعلامي، قامت هذه المبادرات بتشكيل قوّة تدخل لإنقاذ النساء من الاعتداءات، خاصة أثناء التجمعات الكبيرة، ووفّرت تلك المجموعات الدعم النفسي والقانوني للناجيات من الاعتداءات. ونظمت أيضاً دروساً للدفاع عن النفس للنساء. وقامت بتجميع شهادات للناجيات لوصف تجاربهن ومساعدتهن على التعامل مع

"الدولة والسيادة والفضاء الاجتماعي في  
المنطقة العربية: قراءات تاريخية وفقاربات  
نظرية جديدة"

"State, Sovereignty and Social Space in  
the Arab Region: Emerging Historical  
and Theoretical Approaches"

"État, souveraineté et espace social  
dans la région arabe : nouvelles lectures  
historiques et approches théoriques"

# المؤتمر الثالث Third Conference

بيروت، 10-12 آذار/مارس 2017  
Beirut, March 10-12, 2017



المجلس العربي  
للعلوم الاجتماعية  
Arab Council  
for the Social Sciences  
Conseil Arabe  
pour les Sciences Sociales

الآثار النفسية المترتبة على التجربة القاسية. وأخيرًا ضغطت على الأحزاب والمجتمع المدني لكي يعترفوا بوجود مشكلة ولكي يتخذوا التدابير المناسبة لتجنب وقوع حوادث الإعتداء أثناء فعاليات الاحتجاج والحشد. ثم كان شهر يناير 2013 لحظة فاصلة في التعامل مع ملف العنف في الإعلام، إذ ظهرت بعض الناجيات في وسائل الإعلام المرئي لتسردن تجاربهن على الملأ. وكان لهذه الشهادات المدعومة بمجهودات الناشطات أثر بالغ على أسلوب تناول تلك القضية، إذ كسرت الناجيات كما النشاطات التابو وأصبح من الممكن تناول قضية العنف ضد النساء من منطلق أنها جريمة يرتكبها جاني يتحمل تبعاتها على الملأ.

أسرد حكاية التحول الذي حدث في الخطاب وفي المجال العام في تناول قضية العنف ضد النساء لأؤكد على حقيقة أن العمل الأهلي الحقوقي، خاصة عندما يتاح له الوصول للناس والإنتشار في مجال سياسي مفتوح نسبيًا، من شأنه تحقيق نقلات نوعية على مستوى الوعي ومن ثم التأثير على التشريعات.

كانت النتيجة المباشرة لكسر التابو إدراج فقرة في الدستور المصري عام 2014 تلزم الدولة بمناهضة كل أشكال العنف ضد المرأة. ثم في يونيو 2014، صدر قانون يجرم التحرش وينص على عقوبات رادعة للمتحرشين. وفي عام 2016، صدر قانون يغلظ عقوبة ختان البنات. هذا على المستوى العملي والتغييرات التي حدثت على الأرض بفضل عمل النسويات لمناهضة العنف ضد النساء.

أشنتك مع السردية النسوية المناهضة للاستعمار أيضًا على المستوى النظري. وأشار إلى ما سمّاه إدوارد سعيد "سفر النظريات" وما يتبعه من تغيير أو إحلال وتبديل للمفهوم عند احتكاكه ببيئة جديدة وتفاعله مع تحديات مختلفة.<sup>1</sup> أشير أيضًا إلى مقالة لجون سكوت عنوانها "ترددات نسوية"<sup>2</sup> تقول فيها أن انتقال الصوت من مكان إلى آخر يحدث ترددات تشكّل بالضرورة صوتًا جديدًا أو صوتًا مختلفًا. وتستخدم مفهوم الترددات لتقييم مسار النظرية النسوية في القرن العشرين، وتتصدى للفكرة الشائعة عنها باعتبارها منتج

"الدولة والسيادة والفضاء الاجتماعي في  
المنطقة العربية: قراءات تاريخية وفقرارات  
نظرية جديدة"

"State, Sovereignty and Social Space in  
the Arab Region: Emerging Historical  
and Theoretical Approaches"

"État, souveraineté et espace social  
dans la région arabe : nouvelles lectures  
historiques et approches théoriques"

# المؤتمر الثالث Third Conference

بيروت، 10-12 آذار/مارس 2017  
Beirut, March 10-12, 2017



المجلس العربي  
للعلوم الاجتماعية  
Arab Council  
for the Social Sciences  
Conseil Arabe  
pour les Sciences Sociales

غربي خالص، وذلك بتتبع وإبراز مساهمة الناقدة جوليا كريستيفا، التي ولدت وتلقت تعليمها في بلغاريا، وتأثرت بكتابات ميخائيل باختين، ثم أتت إلى فرنسا وأصبحت من مؤسسات النظرية النسوية الفرنسية.<sup>3</sup>

يترتب على فكرة سفر المفاهيم أو النظريات إعادة النظر في الارتباط المبالغ فيه بجذور مفهوم ما أو بمسار المفهوم في ثقافة معينة، أو كيفية استخدامه لأغراض محددة تاريخياً وجغرافياً، ثم تجاهل الاستخدامات أو التوظيفات المختلفة للمفهوم بعد انتقاله جغرافياً أو زمنياً، وتجاهل كيفية توظيفه في سياقات مختلفة. وبالرجوع إلى مثال العنف ضد النساء، فمما لا شك فيه أنه تم توظيف هذه الفكرة لتبرير التدخلات الاستعمارية في لحظة زمنية معينة، وهناك وجهة للسردية النسوية المناهضة للاستعمار في مقاومة السرديات الاستعمارية السائدة في دول الشمال، حيث تسود تصورات نمطية عن المجتمعات الإسلامية فتصبح السردية النسوية المناهضة للاستعمار في هذا السياق سردية مقاومة. ولكن يختلف الأمر جذرياً داخل المجتمعات الإسلامية، فالخطاب الحقوقي هنا محاصر ويمثل المقاومة لسرديات سلطوية لا تحترم الحقوق. وعليه، يصبح الموقف المناهض للاستعمار المشروع في الغرب، فاقدم للمصادقية والمشروعية في الجنوب ويفقد صفة المقاومة، لأنه في سياق مغاير، يدعم الخطابات السلطوية السائدة ويمدّها بأسلحة لتدمير حركة المقاومة الحقوية الوحيدة والمحصنة.

أنهي بأسئلة أطرحها على النقّاد والنشطاء على وجه سواء، وهي أسئلة قد تساعد على ضبط بوصلة الرؤية والموقف: من يستخدم الخطاب الحقوقي وما الهدف من استخدامه؟ ومن ينتقد الخطاب الحقوقي في العالم العربي ويتهمه بالعمالة والتغريب؟ ومتى يستخدم الخطاب الحقوقي؟ وبأي هدف؟ فالنقد النسوي في أساسه هو نقد سياسي ينتبه إلى علاقات القوة غير المتوازنة في سياقات محددة. ومن ثم، فإن تحديد علاقات القوة في سياقات مختلفة هو جزء أصيل من النقد النسوي الملتمزم سياسياً والهادف إلى المشاركة في الحراك المجتمعي والسياسي.

"الدولة والسيادة والفضاء الاجتماعي في  
المنطقة العربية: قراءات تاريخية وفقاربات  
نظرية جديدة"

.....  
"State, Sovereignty and Social Space in  
the Arab Region: Emerging Historical  
and Theoretical Approaches"

.....  
"État, souveraineté et espace social  
dans la région arabe : nouvelles lectures  
historiques et approches théoriques"

# المؤتمر الثالث Third Conference

بيروت، 10-12 آذار/مارس 2017  
Beirut, March 10-12, 2017



المجلس العربي  
للعلوم الاجتماعية  
Arab Council  
for the Social Sciences  
Conseil Arabe  
pour les Sciences Sociales

<sup>1</sup> Said, Edward. 1984. "Traveling Theory." In *The World, the Text and the Critic*, 226-247. London: Faber and Faber.

<sup>2</sup> Scott, Joan W. 2002. "Feminist Reverberations." *Differences: A Journal of Feminist Cultural Studies* 13, no. 3 (Fall): 1-23.

<sup>3</sup> Scott, Joan W. 2002. "Feminist Reverberations." *Differences: A Journal of Feminist Cultural Studies* 13, no. 3 (Fall): 14-15.